الله

الضمير الديني ودوره في الحياة

تأليف
سماحة السيد حسين الصدر
(دام ظله)

الضمير الديني
و
دوره في الحياة

تأليف
سماحة السيّد حُسين الصدر
(دام ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين
والصلاةُ والسلامُ على نبينا محمد
وعلى آله الطيبين الطاهرين
وأصحابه المنتجبين

أثر الخشية من الله

الناس صنفان:

إنَّ الناس مهما كثر عددهم واختلفت أجناسهم وصفاتهم يتنوعون إلى نوعين:-

١-نوع يصدر في معاملته لنفسه ولغيره عن رقابة نفسية بين جنبيه، وآية ذلك لا يؤذي نفسه ومن يتصل به من الناس، إن أتى بعمل ما له أو لغيره، فإن كان عاملاً أو صاحب وظيفة أتقن عمله وأدّى وظيفته بأمانة، وإن كان تاجراً حرص على نصح من يتعامل معه، وإن كان ذا رسالة بين إثنين أو في جماعة تحرّى قصد الخير ووجه الله في رسالته، فالعمل المتقن محل رضا للعامل والمنتفع به على السواء، والأمانة في أداء الوظيفة وسيلة لدفع الضرر عن المصلحة العامة، والإخلاص في نصح التاجر للمتعامل معه إبعاد له عن أثر الخديعة ونتائجها النفسية والمادية، وتحرّي قصد الخير في أداء الرسالة بين الناس تجنيب لهم عن احتكاك بعضهم ببعض...

التربية السليمة
أساسها الخشية من الله

هذه الرقابة النفسية الداخلية التي يصدر عنها الإنسان في أعماله ومعاملته للناس، قد تكون وليدة التربية السليمة والتوجيه الحسن، كما قد تكون ثمرة الخشية من الله(تعالى) ولكنها إذا كانت ثمرة الخشية من الله(تعالى) ونتيجة لتقوى الله، فإنها تكون أفعل في النفس وأبقى على الأحوال كلها، لأن صاحب التربية السليمة والتوجيه الحسن قد تتغلب على عاداته طبيعته الإنسانية الأولى، أو يسيطر على بعض العادات في بعض أحواله شعوره القوي بتحقيق مصالحه ومنافعه الخاصة على حساب ما اعتاد من عمل متقن، أو أمانة في أداء وظيفته، أو إخلاص في النصح في تجارته، أو نحو للخير في رسالته بين أهله ومواطنيه، فلا يؤدي عمله حينئذٍ كما كان يؤديه..

أما ذلك الذي يراقب الله ويخشاه سراً وعلانية، فمن

العسير أن يتخلف عما درج عليه في معاملته لنفسه وغيره، لأنَّ عظمة الله التي استقرت في نفسه ومناجاته، هذه العظمة في صلواته الخمس كل يوم لا تدع له مجالاً للتغيير في تصرفاته...

إنَّ الإيمان بالله واليوم الآخر، وإقامة الصلاة، عاملان أساسيان في إيقاظ معنى الخشية من الله في قوة التأثير على عمل الإنسان سواء في كمه أو نوعه، وهيهات أن يبقى هذا التوجيه على حاله من القوة مثل ما تبقى الخشية من الله وبطول أجلها وليس في حالتها الأولى فحسب، بل ربما يصير أمرها إلى أن تتمحض آثارها ونتائجها إلى الخير.

٢-أما النوع الثاني من الناس، فهو ذلك الذي يصدر في معاملته لنفسه ولغيره من معنى الإستهتار والإستخفاف، لا يهمه في عمله أو في أداء رسالته على العموم إلاّ أن يقتنص أكبر ربح مادي، أو يحقق أبلغ لذة تهويه من وراء ما يأتي به من عمل أو تصرف، بل ربما يرى في إلحاق الضرر بنفسه أو بغيره لذة ومتعة، وقد يتخذ من إضرار نفسه أو غيره حافزاً على العمل الذي يأتي به، إلاّ أنَّ العامل أو الصانع الذي

يستخف بقيمة العمل فلا يجيده، والموظف الذي يستهين برسالته عن طريق وظيفته في حياة الجماعة، فلا يخلص في أدائها، وكذا أمثالها فيما يأتون به من عمل في ميادين أخرى في الحياة -هؤلاء يضرون أنفسهم ويضرون غيرهم بسبب استهتارهم واستخفافهم بما يسمى بالمسؤولية الإنسانية- .

هذا الصنف من الناس وهو المستخف المستهتر هو مصدر الفساد أو الضرر في الجماعة والمجتمع، وتقويمه لا يكون من طريق فرض الرقابة الخارجية عليه وحدها، أو من طريق التقنين الوضعي فحسب، أو عن طريق أمثال هذه الوسائل الإنسانية، بل قبل ذلك يجب أن يكون للضمير الديني مكانة بين وسائل تقويم هذا الصنف المستهتر من الناس.

والضمير الديني لا تؤثر في تكوينه العظة الدينية وحدها، ولا ما يلقى من المعارف الأخلاقية، ويشرح من القصص لتهذيب الناشئة في مراحل الدراسة المختلفة، وإنما المنْزل، وإنما سلوك الأسرة، هو صاحب التأثير الأول في ذلك، والوالدة قبل الوالد هي أما صاحبة الفضل على ولدها وعلى وطنها بالتالي، أو مصدر الجناية عليهما معاً...

٣-إنَّ الصوم في شهر رمضان وسيلة من وسائل تربية الضمير الديني، وأمارة قوية على وجود الخشية من الله في نفس الصائم، فالله في قوته وجبروته، وفي رحمته وعدله، جزاءه، يتمثل للصائم في كل لحظة من لحظات صومه، وأوضح ما يتجلى له في حال الأزمات النفسية التي تعترض وقت إمساكه، ولأجل شهوة بدنية...

٤-هل نريد أن ننجح في كل خطوة من خطواتنا في الحياة؟. هل نحرص على أن نوفر لأنفسنا الطمأنينة ولوطننا الرفعة؟.

إذا كنا نريد ونحرص على ذلك، فعلينا أن نخشى الله ونراقبه دائماً في أفعالنا وأعمالنا...

إنَّي لأعجب كيف يلوم الفاشل في الحياة القدر ويحمله مسؤولية فشله، وأعجب كذلك كيف تلوم الأمة المستعمَرة الإستعمار وتنسب إليه التخلف في جوانب حياتها الإقتصادية والثقافية والأخلاقية والصحية!...

إنَّ فشل الإنسان في حياته، يرجع إلى نوع عمله في الحياة، وليس هناك عمل مثمر منتج في الحياة إلاّ وقد صدر

عن خشية الله فيه.وإنَّ انحطاط الشعوب في مستواها في الحياة يعود أكثر ما يعود إلى ضعف نفوس الأفراد، وما ضعفت نفوس آمنت بالله واتقته حق تقاه وما استعمرت أمم وثقت بالله واتجهت إليه في مصائرها وراقبته في أعمالها...

قوة الإيمان

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قال:-

﴿ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان:-

١-أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

٢-وأن يحب المرء ما لا يحبه إلاّ الله.

٣-أن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار﴾

أ-إنَّ إيمان المرء بالله جل جلاله وبرسوله(صلى الله عليه وآله وسلم) إذا وصل به إلى أن يفضلهما على غيرهما في الوجود، إلى أن يفضلهما على نفسه وولده ، وماله، وزينة الدنيا، ومفاخرها، وذلك بأن يؤثر طاعتهما على طاعة غيرهما، وبالأخص على طاعة نفسه ويقدم العمل بما جاء به الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) على ما يوحي به هوى نفسه إذا وصلت درجة إيمان المرء بالله ورسوله إلى هذا الحدّ، فإنه لاشك مدرك لذة روحية في إيمانه هذا وفيما يأتي به من عمل نتيجة لهذا الإيمان...

وهذه الحال النفسية للمؤمن لا تعرض إلاّ لمن قَوى

إيمانه بما آمن به حتى يملك عليه نفسه، فصاحب الإيمان القوي لا تتحكم ذاته عادةً في تصرفاته وليس لها في نفسه كيان مستقل يحرص على استقلاله، بل قوة إيمانه تدفعه إلى أن يكون مستجيباً لما آمن به، وعندئذٍ يكون سروره النفسي لا في أغراضه الخاصة التي توحي بها ذاته، بل في سلوكه طريق العمل الذي حدده له إيمانه...

إنَّ المؤمن القوي وهو الذي يحبّ الله ورسوله أكثر من حبه لما سواهما، يتجلى حبه لهما على هذا النحو في أن يكون عنده كلمة الله دائماً هي العليا، سواء في الإعتقاد أو العمل وهو بهذا قوة منتجة في الحياة، وهو مع هذا صاحب النفس المطمئنة الراضية في هذه الحياة الدنيا...

وكلمة الله[1] هي التي تتمثل في أوامره ونواهيه وهي السبيل لخير الناس جميعاً لا لخير أفراد معينين ولا لطائفة دون أخرى...

ب–وإذا وصل إيمان المؤمن كذلك إلى أنه إذا أحب غيره أحبه لله خالصاً دون أن يكون لذات المرء المحبوب أو لأفعاله

---

[1] راجع كتاب في رحاب لفظ الجلالة (الله) للمؤلف.

لما ينتظر ويترقب منه أثر في هذا الحب كانت هذه الحال عنده أيضاً أمارة من أمارات متعته بالإيمان، ودليلاً من وجه آخر على أنَّ الإيمان – وحده لا غيره – هو الذي يملأ فراغ قلبه ونفسه...

حب الإنسان غيره لله، إنما يتمحض لله وحده إذا كان المحبوب نفسه مؤثراً الله ورسوله على كل ما عداهما في الوجود، عمله لله ووفق ما جاء به رسوله الكريم، فهو حب في واقع الأمر لله ولرسوله ومظهر من مظاهر الإيمان القوي بهما...

ج–والمؤمن كذلك إذا كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار – كان ذلك منه أيضاً دليلاً على قوة إيمانه بالله وبرسوله – إذ الكفر يمثل الدنيا الشيطانية ويمثل الفساد في جوانب الحياة الإنسانية المختلفة في العقيدة والسلوك والعمل الصالح لخير الفرد وجماعته، فإذا تعلق المؤمن بهذه الحياة النقية الصالحة وتمسك بالبقاء فيها والتي تمثل الدنيا الإلهية، وكره أن يعود إلى اللون الآخر من الحياة وهو اللون القاتم الذي يشوه جمال العقل البشري ويسيء إلى الإنسان في

حياتـه الخاصـة والعامـة ويجعل منـه مـثلاً آخـر للحيـوان فـي تصرفاته يكره أن يعود إلى هذا اللون كما يكره أن يرمى به في النـار، كـان ذلـك آيـة أخـرى علـى أنــه متـذوق حـلاوة الإيمـان وراغب فيمـا آمـن بـه رغبـة أكيـدة أساسـها الطمأنينـة النفسـية لمـا صـدق بـه، والطمأنينــة النفسـية تكـاد تكـون هـي سـعادة الإنسان ومصدر مسراته الحقيقية...

وهذا الحديث النبوي الكريم يريد أن يوضّح لنا حالـة من حالات الإيمان بالله(جل وعلا) وبرسوله(صلوات الله عليه وسلامه)، ويكشف عن مرتبـة عليـا مـن مراتبـه وهـي تعلّق المؤمن بالمثـل العليـا والقيم الرفيعـة في هذا الوجـود، وهـي تلـك التـي يمثلهـا الـوحي الإلهي، وتحددها رسالته (عليه أفضل الصلاة والسلام)، فهـي كل شـيء وليس وراءها شـيء آخـر فـي نظره، لـيس أمامـه إلا الله ورسـوله يحبهـما دون سـواهما ولـو أحـب إنسـاناً آخـر ، فلله، في سبيل الله لا يرضى بديلاً آخر عنهمـا، بل ليكره كرهاً شديداً أن يتحول عنهما إلى ما كان عليه في ماضيه.

ومن غير شك، هذه المرتبة من الإيمـان مطلوبـة لصـالح الجماعـة والمجتمـع وصـالح الأفـراد، ومـن سـعادة الجماعـة

وسعادة الأفراد الاّ يدركوا فحسب فرقاً بين حياة الفساد والعبث، وحياة الجدّ والخير والمثل العليا، وألاّ يؤمنوا فقط بهذا الفرق وينحازوا بالنية والقصد إلى جانب الحياة الثانية، بل الخير في أن يتعلقوا بهذه الحياة الجديدة الثانية، وأن يكرهوا كرهاً شديداً أن يعودوا إلى حياتهم السابقة، وهي الحياة العابثة الفاسدة المرذولة.

الخير كل الخير في أن تطيب نفوسهم بهذه الحياة الجديدة وهي الحياة النظيفة النقية بعد إيمانهم بها، ولا تطيب نفوسهم إلاّ إذا كانوا أقوياء الإيمان بها، حريصين عليها متمسِّكين بما فيها من مثل وقيم ومبادئ، ضاربين بسلوكهم الشخصي المثل لهذه القيم والمبادئ.

آثار الضمير الديني

عن عمار بن ياسر رضي الله عنه عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال:-

﴿إنّ من عباد الله ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله(تعالى)﴾

قالوا:- يا رسول الله، فخبّرنا من هم؟.

﴿هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله، إنّ وجوههم لنور وإنّهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم تلا قوله تعالى:-

أَلاَ إِنَّ أَولِيـاءَ اللهِ لاَ خَـوفٌ عَلَيـهِم وَلاَ هُـمْ يَحزَنُونَ﴾

هذا الحديث الشريف يصور حال المؤمن الذي امتلأ قلبه بالإيمان لله حتى أصبح لا يصدر في فعل من أفعاله إلاّ عن هذا الإيمان بالله، ولا يتجه في سلوكه أو معاملاته إلاّ لله، إن أحب ففي سبيل الله، لا لعلاقة نسب أو قرابة، وإذا ارتبط بصلة

مع غيره كان باعثها الله، ولم يكن مبعثها أموال أو منافع دنيوية يتبادلها معه.

إنّه بقوة إيمانه ولامتلاء قلبه بالإيمان، مشرق الوجه وصافي الطبيعة، حتى ليبدو من شدة إشراقه وصفائه أنه نورٌ نفسه...

إنّه لقوة إيمانه لا يخاف إذا خاف الناس، ولا يحزن إذا حزن الناس، لأنَّ إيمانه بالله يدفعه إلى أن يعتقد أنَّ:-

﴿ما أصابه لم يكن ليخطأه وأنَّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه﴾

ولأنّ إيمانه بالله يجعله غير حريص على ما في يده – نفسه- أكثر من حرصه على ما في يدي الله...

حال هذا المؤمن هي حال يغبطه عليها الأنبياء والشهداء، لأنَّ مكانه من الله(سبحانه) وكان المقرب منه، المرضي عنه، المكرم في جناته...

نوعان من الناس

نرى في حياتنا وفي معاملة بعضنا بعضاً نوعين من الناس:-

أ-نوع يشعر في قرارة نفسه بأنَّ فوقه قوة عليا هي الله ﷻ، تدير الكون كله، وتحدّد مصائر الناس في هذه الحياة وفي الحياة الآخرة، هي قوة مرهوبة الجانب، ومع ذلك هي موضع أمل الإنسان في دنياه وآخرته، لأنه يذكر قوله تعالى في سورة آل عمران، آية (٢٨):-

﴿وَيُحَذِرُكُم الله نَفْسَه وَإلى الله الَمصِير﴾

وقوله تعالى في سورة البقرة، آية (٢٣٥):-

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُم فَاحْذَرُوهُ وَاعلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ حلِيمٌ﴾

وقوله تعالى في سورة الأعراف، آية (١٥٦):-

﴿وَرَحمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ فسأكتبها للذين يَتَّقُون وَيُؤتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤمِنُونَ﴾

وقوله تعالى في سورة آل عمران، آية (١٧٥):-

﴿وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُم مُؤمِنِينَ﴾

موقف هذا النوع من المولى(جلَّت قدرته) أن يكون في فعله ومعاملاتها متأثراً بهذا الشعور العميق في نفسه. ففعله ومعاملاته تأتي طبقاً للأوامر والنواهي التي تتكون منها رسالة الله للمصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم)، يخشى ربه فلا يقدم على إساءة لنفسه وغيره، ويؤمن في عدل الله ورحمته إن أحسن لنفسه وغيره.

ب–ونوع آخر يقابل هذا النوع تماماً وعلى الضد منه في شعوره النفسي لا يعترف بقوة الخالق ولا يداخل نفسه إحساس بوجوده وعظمته ولا ينطوي قلبه على أثر من آثار الإيمان بالله، يقر بدنياه فقط وبوجوده الذي يعيش فيه، وتُصور له نفسه أنّه هو وحده صاحب الأمر فيه، وليس هناك معقب على تصرفه، ولا رقيب على سلوكه ولا مجازٍ على فعله، إن تصرف فعلى حسب ما يهوى، وإن فعل فتنفيذاً لما يريد، ويسخر بالقول أو بالفعل من الحديث عن الدار الآخرة وما يقع فيها من بعث وجزاء، وينظر نظرة المستخف إلى من يذكر له حقوق الآخرين في جماعته، وحرمان الآخرين في أموالهم وأعراضهم، وفضائل السلوك والأخلاق...

صاحب الشعور الأول تكوّن في نفسه ضمير ديني ووعي ديني ويقظة قلبية، أي إحساس ديني داخلي يدفعه حسبما جاء في رسالة اللهﷻ من أوامر ونواهٍ...

هذا الإنسان هو صاحب الضمير الديني، استقر في نفسه الإيمان، واستقرت فيها الخشية منه والأمل فيه، وانطبع ذلك في تصرفاته وأفعاله وسلوكه، على العموم، آمن بالله، فخَشِيَه وأَمِلَ فيه، لا يضطرب بعد ذلك، لا يَنْزعج في حياته، لأنه لم يعد لديه سبيل للإضطراب، سيدفعه إلى المثابرة والسير في الحياة دون أن تكون للأحداث التي تصيبه أثراً سلبياً على مثابرته وسيره، إنّه الآن صاحب نفس راضية مطمئنة...

أما ذلك الإنسان الذي لم يخالط قلبه إيمان بالله ، فتولى عن ذكر الله، ولم يرد إلا الحياة الدنيا –هذا الإنسان– فقد الضمير الديني، إن فعل ذكر فيما يفعله نفسه فقط، ونسي ربه، ومن يذكر نفسه وينسى ربه فيما يفعل، وينسى الناس جميعا كذلك. لأنّ الله فيما يأمر وينهى يبتغي مصلحة الناس كافة، وحتماً من ينسى الله ، ينسى أوامره ونواهيه..

هذا الإنسان خلت نفسه من تلك القوة الدافعة الموجهة له في حياته طبقاً للرسالة الإلهية، واستبدلت به قوة أخرى في التوجيه، هي قوة النفس الخاصة. وهي عندئذٍ النفس الأمّارة بالسوء، لأنها تدفعه إلى ما يحصل لها المتعة والترويح ولو على حساب الآخرين، في أبدانهم أو أموالهم أو حرماتهم أو أعراضهم. الضمير الديني إذن يقوم على الإيمان بالله والخشية منه والأمل فيه. أما آثار هذا على العموم:-

١-الرضاء والإطمئنان بما يقع من أحداث في محيط الإنسان.

٢-محاسبة الإنسان نفسه بالعمل، وهذه المحاسبة يترتب عليها اتقان العمل من جانب وأداء ما يجب على الإنسان أداؤه دون رقابة خارجية من جانب آخر.

٣-عدم اليأس عند الصدمات، والإستمرار في السير في الحياة، بروح الأمل المشرقة.

٤-عدم تهيّب الحياة، وعدم الخوف من أخطارها..

إنَّ هذه الآثار بدورها هي عوامل النجاح في الحياة، في كل طور من أطوار حياة الإنسان، وفي كل طبقة من طبقات

الجماعة، لأنها عوامل القوة. والقوة سرّ النجاح في الحياة دائماً..

-إنّ الذي لا ينزعج بالأزمات قوي.

-والذي يتغلّب على اليأس ويستمر في السير قوي.

-والذي لا يخاف مخاطرة الحياة قوي.

-والذي يؤدي الواجب عليه من ذاته قوي على هوى نفسه وأمام غيره..

إنّ الشباب في حاجة إلى تكوّن الضمير الديني وإيقاظه في نفسه، حتى يقوى على دفع الأخطار التي تواجهه في مرحلة المراهقة، وهي أخطار، كثيراً ما يقع الشباب تحت تأثيرها، وينزعون إلى السلبية الهدامة في حياتهم. لم يتخلف باحث نفسي ولا تربوي عن الإقرار بأنّ التدين في حياة المراهق كفيل بتوجيهه التوجيه الصحيح في مدرسته وفي سلوكه الشخصي والجماعي.

إنّ العامل في حاجة إلى تكوين الضمير الديني وإيقاظه في نفسه حتى يساهم مساهمة إيجابية في إنتاجه، سواءاً في مقدار هذا الإنتاج، أو نوعه، وليس هناك ما وراء الضمير

الديني ما يحفزه على إتقان العمل، وأداء الواجب دون رقابة عليه من غيره، أكثر من هذا الضمير.. قد تكون للتربية أثر وقد يكون للوعي القومي أثر، ولكن هذا الضمير عامل مستمر لا ينقطع في أن يتقن العامل عمله ويؤدي واجبه دون انتظارٍ لتفتيشٍ عليه. إنّ حارس الوطن لكي لا يتهيب أخطار الدفاع عن الوطن وردِّ الإعتداء عليه في حاجة إلى أن يكون عنده هذا الضمير الديني فهو عدته الروحية بجانب عتاده المادي.

إنّ الجهاز الحكومي لا يثمر ثمرته الإيجابية إلاّ إذا كان القائمون به من الموظفين يخشون الله في أعمالهم، ويؤملّون في جزائه الأخروي على ما تحملوا من صعاب أو لاقوا من مشقة في سبيل مواطنيهم وأمتهم..

لا تستطيع المعرفة ولا الثقافة ولا تستطيع المدرسة ولا تجارب الحياة وحدها، أن تزود الإنسان بقوة تكفل له النجاح في حياته وحياة جماعته مثل ما تكفل له هذه القوة، الضمير الديني الذي أساسه الإيمان بالله والخشية منه والأمل فيه. إنه هو الذي يحوّل علاقة الناس بعضهم ببعض إلى محبة خالصة، لا تقوم على أرحام بينهم، ولا على أموال يتعاطونها،

وإنـه هـو الـذي يجنِّـبهم الخـوف إذا خـاف النـاس، والحـزن إذا حزن الناس، وذلـك مـا لـم تصل إليـه ثقافـة ولا توجيـه إنسـاني بعد..

الضمير الديني
وأثره في أداء الواجب

صنع المعروف يجلب طمأنينة النفس...

روى الإمام علي بن الحسين عن أبيه عن جده(عليهم أفضل الصلاة والسلام) **قال:-**

﴿قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إصنع المعروف في أهله، وفي غير أهله، فإن أصبتَ أهله، فهو أهله وإن لم تصب أهله فأنت أهله﴾

يطلب هذا الحديث النبوي الشريف، ممن آمن بالله ورسوله، أن يصنع المعروف، وهو ما يجب أداؤه حباً في ذات المعروف، لا إرضاءاً لمن يصنع له، ولا ترقباً لجزائهم وثنائهم، لأنّ صانع المعروف على هذا النحو كافيهِ اطمئنان نفسه بما يصنع، فهو مطمئن النفس، إن أصاب عمله من يستحقه، ومطمئن النفس إنْ أصاب هذا العمل مَن لا يستحقه، لأنه عندئذٍ قد أرضى ضميره ودلل على أنه أهل

المعروف ﴿فإن أصبت أهلـه، فهـو أهلـه. وإن لـم تصـبْ أهلــه، فأنــت مــن أهلــه﴾ ففـي كلتـا الحـالتين هـو مطمـئن الـنفس، مسـتريح الضـمير لمـا قـام بـه مـن أداء المعـروف والواجب لذات المعروف والواجب، ثم هو بعد ذلك لـه الجزاء الأوفى في آخرته.

كما في قوله تعالى من سورة النازعات، آيـة(٤٠-٤١):-

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَـى الـنَّفْسَ عَـنِ الـهَوَى فَإِنَّ الجَنَّـةَ هِـيَ المَأوَى﴾

والـذي يصـنع الواجـب غيـر مـراعٍ النـاس مـن يسـتحقه مـنهم، ومـن لا يسـتحقه قـد راعـى الله فيمـا صـنع، وتحكّم فـي هوى نفسه وشهوته..

الحياة واجبات وحقوق متبادلة

إذن الواجب هو ما يجب على الإنسان أن يعمله نحو نفسه أو نحو غيره، فالجار عليه واجب نحو جاره، والعامل عليه واجب نحو صاحب العمل، وصاحب المال عليه واجب نحو العامل، والتاجر عليه واجب نحو عميله، والعميل عليه واجب نحو تاجره، والمعلم عليه واجب نحو تلاميذه، والتلاميذ عليهم واجب نحو معلمتهم، والموظف عليه واجب نحو جمهور الناس، وجمهور الناس عليه واجب نحو الموظف، والآباء عليهم واجب نحو أبنائهم، والأبناء عليهم واجب نحو آبائهم، وذوو الأرحام عليهم واجب نحو أرحامهم، والمواطنون عليهم واجب نحو وطنهم وأمتهم، والمؤمنون جميعاً عليهم واجب نحو خالقهم وخالق الكل...

هذه كلها واجبات، لكل واجب منها حدود ومعالم، وكلها ترجع إلى واجب الإنسان نحو نفسه وغيره، وإذا سلك فيها الإنسان ما رسمه الإسلام في رسالته، وجعله هداية المؤمنين يكون قد أدى الواجب نحو نفسه ونحو غيره ونحو خالقه...

الواجب دائرته الصالح العام

أما حدود الواجب، فهي حدود الصالح العام، من يتلمس حدود الصالح العام في تصرفه نحو نفسه يكون قد تلمس حدود الواجب، ومن يبتغي الصالح العام في سلوكه مع غيره يكون قد ابتغى أداء الواجب، ولهذا قد يتعارض الواجب مع المنفعة الشخصية، يتعارض البذل في سبيل المجموع مع حرص النفس على المال لهدف شخصي، وتتعارض العفة والعفاف مع الرغبة في تحصيل المتعة الخاصة، ويتعارض إيثار الغير مع الإثرة الذاتية، وتتعارض التضحية في سبيل الدين والقيم والوطن مع الحرص على الحياة الفردية...

وأداء الواجب يقوم على تحمل المشقة دائماً في سبيل أدائه وكلما زادت المشقة في سبيل أدائه، كلما كان أثر هذا الواجب في تحقيق الصالح العام أوسع وأوضح...

أداء الواجب ليس هو أداء العمل مع أي نوع وعلى أي

نحو، أداء الواجب هو أداء عمل معين، هو أداء ذلك العمل الذي يكون له أثره في خير المجموع وخدمة الغير.

إن ترفقت بالضعيف، أدّيت واجباً. وإذا منعت الإيذاء والضرر عن الجار، أديت واجباً. وإن راعيت حقّ من لك به صلة في العمل، أديت واجباً.

وإن منعت الخداع في معاملة مَن تبيع له وتشتري منه، أديت واجباً. وإن منعت عن نفسك الضرر ولم تسترسل فيما تهوى، أديت واجباً.

وإن صنعت كل ذلك وخشيت الله فيه، أديت واجباً هو واجبك نحو الله.. الواجب أن تعمل لترضي الله وترضي ضميرك، كإنسانٍ مساهم في خير الجماعة. الواجب أن ترقب الله في أدائك إياه.

وليس من أداء الواجب أن تعمل في ظل رقابة الغير أو في سبيل هوى النفس...

الواجب والضمير الديني

وصاحب الضمير الديني وهو من يرقب الله في العمل، يستغني إذن عن إشراف الغير عليه، ويستغني كذلك عن مغالبة هوى نفسه، وشهواتها في أداء ما يجب عليه أداؤه سواءاً نحو نفسه أو غيره، لأنه انتقل فيما يعمل من خشية الناس إلى خشية الله. وعلى رضاء نفسه إلى رضاء الله، والله دائم معه، فالخشية منه باقية، والرغبة في إرضائه متوفرة ومستمرة...

الواجب والحياة الواقعية

وقد يرى بعض الناس أنّ أداء الواجب يتطّلب حرمان النفس من بعض المنافع الخاصة وبعض المتع الشخصية، والواجب لذلك أمر مثالي في نظره، وأولى بالإنسان أن يكون واقعياً حسب تقديره يستمتع بالحياة ما وسعه الإستمتاع بها، ويستغل فرصها ما أمكنه استغلالها، ويؤدي من العمل ما يتكافأ مع الأجر الذي يتناوله..

فلا غضاضة على المدرس في فصله، والطبيب في مستشفاه، والموظف في مكتبه، والعامل في مصنعه أو حقله أن يؤدي من العمل ما يبرر به فقط انتسابه إلى الوظيفة التي يؤجر عليها طالما لا يكافأ عليها في سعة حسب تقديره. وسواءاً بعد ذلك أثمر عمله الذي أدّاه أم لم يثمر، وسواءاً اقترب به من الصالح العام أم لم يقترب، سواءاً تثقفت التلاميذ أم لم يتثقفوا، وصحت المرضى أم لم يصحوا، ونجح صاحب العمل أم لم ينجح، وقضيت مصالح الناس في دواوين الحكومة أم لم تقضَ..

صاحب هذا الرأي يبيح للناس أن يكونوا واقعيين على معنى أن يرعوا مصلحتهم الشخصية فحسب، يلتقطون المنفعة من هنا وهناك كما تلتقط الطيور حبات الأكل التي توجد في مجالها الذي تتحرك فيه، غير سائلة عن من يملك هذه الحبات إن كانت لصاحبها أم لسواه، وعما إذا كان لها أن تأكل منها أو تتركها..

صاحب هذا الرأي ينزل بالإنسان درجة دونه، بدلاً من أن يحافظ على أن يبقى إنساناً، ويتطور كإنسان، ويصل إلى ذلك المخلوق الذي تميز عما عداه بقوة الإدراك وبإمكان الفصل في الحياة بين نافع وضارٍ، وإحسان وإساءة..

مستوى الأمة
مرتبط بأداء الواجب

على أداء الواجب وحده، يتوقف ارتفاع مستوى الأمة في حياتها. يتوقف عليه ارتفاع مستواها في الخُلُق، وفي المعرفة، وفي الفن، وفي الحضارة، وفي المعيشة. إذ معنى كل إنسان في الأمة يؤدي واجبه أنّ هناك إنتاجاً، وأنّ هناك تقدماً مستمراً في الإنتاج، معنى ذلك أيضاً، أنّ هناك تضحية في سبيل المجموع، وأن هناك عملاً يبذل في سبيل الصالح العام، معنى ذلك أخيراً أنّ الشعور بالمجموع أصبح أقوى من الشعور بنفس الفرد، وأنّ حاجة المجموع أصبحت تعلو حاجة الفرد الخاصة..

لم تتقدم أمة من الأمم، ولم تسُدْ في مجالات الحياة كلها في شيء إلاّ كان تقدمها وكانت سيادتها رهناً بأداء أفرادها الواجب، كان المسلمون أصحاب سيادة وقوة يوم أن كانوا يدركون الواجب، ويؤدونه بنفس مطمئنة..

ولا سبيل لأداء الواجب بنفس مطمئنة إلاّ إذا سبقه بنفس الإنسان شعور بالخشية من الله وقيام ضمير ديني. كما في قوله تعالى من سورة النور، آية(٥٥):-

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَستَخلِفنَّهُم فِي الأَرضِ كَمَا استَخلَفَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُم دِينَهُمُ الَّذِي ارتَضَى لَهُم وَلَيُبدِلَنَّهُم مَن بَعدِ خَوفِهِم أَمناً﴾

الضمير الديني
وأثره في إتقان العمل

يروى عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿إنّ الله يُحِبُّ من أحَدِكم إذا عَمِل عَملاً أن يُتقِنَهُ﴾

ينصح الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يتقن الإنسان عمله إذا باشر عملاً من الأعمال، ومن يبدي هذه النصيحة في صورة ذلك محبوب لله، ومما يتقرب به العبد لربه. لأنّ ما يحبه الله ويرضاه إذا أتى به المرء تقرّب به إلى الله ﷻ.

كل عمل يباشره الإنسان مطلوب منه أن يتقنه إذا حرص الإنسان على رضا الله وقبول الله لعمله:-

١-في العبادة مطلوب من الإنسان أن يؤديها على نحو يكفل الهدف المرجوُّ منها ، فتأدية الصلاة مثلاً، ليست تأدية الركوع والسجود على الوجه المعروف، بل لا تؤدى إلاّ إذا أثمرت البُعد عن الفحشاء والمنكر، كما في قوله تعالى من سورة العنكبوت، آية(٤٥):-

﴿وأقِمْ الصَلاةَ إنَّ الصَلاةَ تَنْهَى عَن الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ وَلَذِكْر اللهِ أَكْبَر﴾

ولهذا يروي مسلم عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أنّه يقول:- دخل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) المسجد وحبل ممدود بين ساريتين، فقال:-

﴿ما هذا؟..﴾

قالوا:-هذا حبل نتكئ عليه.. قال:-

﴿حلّوه ليصلِ أحدكم نشاطه، فإذا كسلَ أو فترَ، قعد﴾

ويروي مسلم عن أبن عباس عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال:-

﴿إذا قام أحدكم من الليل، فاستعجم القرآن على لسانه، فلم يدرِ ما يقول، فليضطجع﴾

فحرص الرسول(عليه الصلاة والسلام) أن تؤدّى الصلاة في وقت نشاط الإنسان ويقظته، حتى يكون على ذكر من الله إذا وقف فيها بين يديه، وعدم رضائه عن تأديتها في حال كسل الإنسان أو غفوته، لأن تأديتها عندئذٍ لا تؤدي إلى الغاية منها...

وفي الصدقة لا تؤدى في أية صورة ما ، بل في صورة

واحدة، وهي أن يشعر المتصدق عليه بأن صاحب الصدقة قد حفظ عليه كرامته كإنسان، فلم يؤذه عندما تصدق عليه بنظرة الصغار أو الإحتقار إليه، أو بِنَابِي القول أو نحو ذلك كما في قوله تعالى في سورة البقرة، آية(٢٦٣):-

﴿ قَولٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ من صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذَى﴾

وعندما أوصى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) بأنَّ يد الإنسان اليسرى لا ينبغي أن تعلم ما أعطته يده اليمنى، قصد إلى إخفاء أمر الصدقة وعدم إشعار الإنسان المتصدق -نفسه- بأنه تصدق حتى يحفظ على المتصدق عليه آدميته وإنسانيته وكرامته، هذا مثل في إتقان العمل في العبادة...

٢-وفي الصناعة مطلوب من الصانع إذا كان حريصاً على رضاء الله ومحبته أن يتقن عمله فيما يصنع، يُعنى بنوعه وجودته، قبل العناية بكمه وكثرته، إذن إتقانه وسيلة لترويج ما يصنع وأبقى على دوام العمل لمن يعمل.

٣-وفي التجارة مطلوب من التاجر، كتاجر أن يتقن عمله وليس ذلك بأن يقوم بالمبادلة على أية صورة، بل على الصورة التي ينتفي فيها الخداع والمكر السيئ.

٤-في التثقيف، في التطبيب، إلى غير ذلك من الأعمال، مطلوب من المثقف والطبيب والموجه والمرشد، أن يتقن كل منهم عمله، بأن يقوم به على نحو يحقق فائدته، يثقف للمعرفة، ويطبب للتداوي، ويوجه للتنوير والإرشاد. ولا يتم ذلك كله إلاّ إذا عزم المثقف على إفهام من يثقفه، والطبيب على إنقاذ من يمرضه، والموجه على هداية من يوجهه..

إتقان العمل في جملته يقوم على نفي الخداع في المعاملة، ووسيلة لترويج ما يصنع أو ينتج إنتاجاً مادياً، وطريق لإيجابية العمل إن كان يتصل بالقيم والتوجيه الإنساني.. إنّ الإسلام إذ يُعنى بإتقان العمل ويدعو إليه الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، ويفرق القرآن بين عمل مثمر وعمل غير مثمر، مثل قوله تعالى في سورة الملك، آية(٢٢):-

﴿أَفَمَنْ يَمشِي مُكِبَّاً عَلَى وَجهِهِ أَهدَى أَمَّن يَمشِي سَوِيَّاً عَلَى صِرَاطٍ مُستَقِيمٍ﴾

الإسلام إذ يُعنى بذلك، بنوع العمل قبل كمه وبجودته قبل كثرته، وبإيجابيته وثمرته في الحياة قبل ضخامته.

﴿يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى

الأكلة على قصعتها﴾

قالوا:-أمن قلة نحن يا رسول الله؟.. قال:-

﴿لا، بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل﴾

فالرسول(عليه الصلاة والسلام) يرى قوة الأمة في نوعها، في تربيتها، في توجيهها، في صحة أبدان أبنائها، وفي سلامة تربيتهم وتوجيههم، ولم يرَ هذه القوة في كمها وعددها وكثرتها...

إتقان العمل من المباشر له أمارة على رشده وصحة فهمه للحياة، والإسلام يقصد بالحثِّ على إتقان العمل أن يدل الناس على الرشد الإنساني وصحة فهم الحياة...

الطفل وليس الرشيد هو الذي يفرح بالكثرة والكم، لأنه لم يعرف بعد قيمة النوع والجودة.

إنَّ إتقان العمل يساوي الصدق في القول، كلاهما يُبعد الخداع، وكلاهما يوصل إلى النجاح الدائم، وكلاهما أمارة الإنسان المهذب الرشيد...

أما الذي يراقب الله في العمل ويخشى جزاءه في الآخرة ويرغب في لقائه والتنعم برضاه بعد البعث، فله من مراقبة الله وخشيته والرغبة في لقائه، دافع إلى إتقان العمل بالإضافة

إلى الجدّ في قيمة إنتاجه، لأنه على ذكرها دائماً من أحاديث الرسول(عليه الصلاة والسلام) في ذلك، ومما ذكره الله في كتابه الكريم...

صاحب الضمير الديني إذن مدفوع من ضميره إلى إتقان العمل وإجادته...

الضمير الديني
وأثره في توجيه الشباب

يروى عن سعد بن هشام أنه قال:- دخلت على أم سلمة(رضي الله عنها)، فسألتها عن أخلاق رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فقالت:-أما تقرأ القرآن؟..

قلت:-بلى..

قالت:-كان خُلُق رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، القرآن.

إنَّ الإنسان منذ ولادته إلى شيخوخته له أطوار ثلاثة:-

أ-طور الطفولة المبكرة والمتأخرة:- وهو من الولادة إلى سن الثانية عشرة.

ب-طور الشباب أو المراهقة:- وهو من الثالثة عشرة إلى العشرين أو بعدها بقليل.

ج-طور الرشد الإنساني:- وهو من سن الحادية والعشرين إلى الشيخوخة.

وطور الشباب إذن هو المرحلة الوسطى بين طفولة

الإنسان من جانب، ورشده العقلي والنفسي من جانب آخر، هو مرحلة الإنتقال التي ينتقل فيها الإنسان الصغير إلى حال الإنسان الكبير، ولأن الشباب يمثل المرحلة الوسطى أو لأنه هو يمثل مرحلة الإنتقال، كان تصرف الشباب يعبر مرة عن تصرف الطفل، ومرة أخرى يتسم بطابع تصرف الرشيد، تصرف الشباب خليط، ليس هو بتصرف الطفل على الإطلاق، ولا بتصرف الرشيد على الإطلاق...

يريد أن يكون إنساناً كبيراً، فالذكر الشاب يريد أن يكون رجلاً في مشيته، وفي حديثه، وفي مظهره، وفي علاقته بغيره، وفي تعبيره عن أمانيه...

والأنثى الشابة تريد أن تكون إمرأة في زينتها ومظهرها، وفي حديثها مع أخيها أو أبيها في الأسرة، وفي صلاتها بواجبها، وفي رفضها كل ما يُقلل من شأنها كإمرأة مكتملة...

ومع ذلك فالشاب ذكر أو أنثى سريع البكاء، كثير التدلل، شديد الحب لنفسه، حريص على نحو ما يلعب الأطفال، كثير الضحك، قليل الجد...

الشاب يود أن يكون كبيراً، ولكنه يأتي بما يأتي به

الأطفال من تصرفات، الشاب يود أن يسير إلى الإمام نحو الرشد، ولكنه قد يدفع إلى أن يرجع إلى الوراء نحو الطفولة...

ومن هنا كانت مرحلة الشباب مرحلة معقدة، وكان دور الموجّه إياه دوراً ليس من السهل القيام به، وليس من السهل تأديته حقّ الأداء والتوجيه السليم للشباب هو التوجيه الذي يسير به إلى الإمام نحو الرشد، ونحو الإنسان الكبير، ويحميه من النكسة والرجوع إلى الوراء نحو الطفولة في دورها المتأخر أو المبكر...

والضمير الديني في مرحلة الشباب عامل رئيسي في دفع الشباب نحو الأمام وفي خلق شخصية الإنسان الرشيد فيه، وفي إبعاده عن أن يبقى طفلاً في عقله ونفسه وخُلُقِهِ وسلوكه، وأن يعيش كما يعيش الأطفال في دور الطفولة الطبيعي...

الضمير الديني سيوجه الشاب نحو الله، نحو الموجود الكامل في قدرته، مالك السماوات والأرض، مدبر الأمر كله، سيوجهه إلى رسالة المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم)، وما فيها من هداية تُصور الطريق المستقيم للإنسان في حياته...

وإذا يتوجه الشاب إلى الله(تعالى) يتوجه في واقع الأمر نحو مثل أعلى في الوجود، وعندئذٍ يتصور الحياة على أنها ليست اللعب، والدلال، والبكاء، والضحك، ومطاوعة النفس وشهوتها، بل على أنها طريق إلى السمو، وأنها سبيل إلى إرضاء الله الخالق القادر...

وإذا يتوجه الشاب إلى رسالة المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) يتجه إليها لا على أنها شيء يُحفظ ويُتلى أو شيء يُستمتع به على نحو ما يُستمتع بكتاب رفيع في أدبه وأسلوبه، بل على أنها تحديد عملي للسبيل إلى الله وإلى رضائه...

رسالة الإسلام هي رسالة الإنسان الرشيد، هي الرسالة التي تنقل الإنسان بتعاليمها من طفولته العقلية إلى الرشد النفسي والنضوج العقلي والروحي كما في قوله تعالى في سورة الحجرات، آية (٧):-

﴿وَاعلَمُوا أَنَّ فِيكُم رَسُولَ اللهِ لَو يُطِيعُكُم فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمرِ لَعَنِتُم وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُم وَكَرَّهَ إِلَيكُمُ الكُفرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾

يصلي لكي يكون دائماً على ذكر الله(تعالى) فيبتعد عمّا

يكره الله لعبده، وما لا يحب أن يكون بين عباده، ويؤدي بقية الفرائض من صوم وصلاة وغيرها، كي يحول بين نفسه وبين أن تتحول إلى الطفولة وتعود للسير في مجالها، فالصوم لا يؤديه إلاّ مَن قدر على ضبط نفسه، وتحكم في هواه، وذلك شأن الرشيد من الإنسان، والزكاة لا يعطيها إلاّ من وقف ضد طغيان الأنانية في نفسه، وذلك أيضاً شأن الرشيد من الإنسان.

أما الطفل من الإنسان، فأخص صفات نفسه أنّه لا يستطيع أن يكبح جماح نفسه. كما لا يستطيع أن يجد من جشعه وسيطرة هواه على كل تصرف يأتي به.. إنّ الضمير الديني هو الذي يدفع الشاب ذكراً كان أو أنثى إلى معرفة المثل الأعلى في الحياة، وإلى الجدّ فيها، وإلى التخلص من صفات الطفولة الإنسانية، وعدم النكسة إلى الوراء.

تحاول المدرسة الحديثة أن تعوّض الشباب عن تكوين الضمير الديني عنده بقراءة تاريخ العظماء والأبطال، ومعرفة آداب السلوك وأخلاق الإنسان المهذب. ولكنها إذ تحاول ذلك تحاول في واقع الأمر أن تضع هذا الشباب أمام شيء محدود

العظمة، وهم رجال التاريخ، وأمام آداب وأخلاق هي من صنع الإنسان الذي من شأنه أن يختلف على نفسه وفي رأيه ولا يستطيع الحياد فيما يرسمه ويقرره.

وفرق بين عظمة الله إذا دفع الشاب للإيمان به وبين عظمة رجل التاريخ إذا دفع الشباب لقراءة سيرته. وفرق بين طريق الهداية في هذه الحياة الذي هو من وحي رب العالمين الذي لا إله إلاّ هو، وبين ذاك الطريق الذي وضعه الإنسان، على أنه مسلك الإنسان المؤدب المهذب..

أيتها الأمهات، أيها الآباء: أتعنون بناشئكم في صغره، وتقرّ أعينكم بنموه الجسمي، فتزداد عنايتكم بهذا الجانب فيه، حتى إذا دفعتم به إلى المدرسة أخذ تحصيل المعرفة على محو ما رسم فيها جزء من هذه العناية حتى إذا وصل هذا الناشئ إلى مرحلة المراهقة، أو مرحلة الشباب واجهتكم مشاكله، وهي مشاكل ناشئة عن تذبذبه من الطفولة والرشد. ينمو جسمه في سرعة، وكثيراً ما يبطئ في تحصيله المعرفة، يهرب من المجتمع، ويتهيب الحياة أو يستهتر بها وبقوانين أمته وجماعته. وحلّكم لمثل هذه المشاكل أما الضغط عليه

مرة، أو تركه مرة أخرى، وأما معاملته بقسوة مرة، واستجداؤه مرة أخرى. وهكذا في مرحلة شباب أولادكم، حياتكم غير مستقرة:-

إطمئنان، وفزع، وخوف، وأمل، وإصرار، وندم.

ولو أنّكم يوم عنيتم ببدنه وهو ناشئ، عنيتم بروحه ونفسه واتخذتم له من أنفسكم مثلاً صالحاً يرقب الله في عمله، ويتصوره في سلوكه، لوجدتم فيه ناشئاً يتّقد فيه الإحساس بالله..

ولو أنّ بعد ذلك كله قصصتم عليه شيئاً من سيرة الرسول(عليه الصلاة والسلام) وأهل بيته الطاهرين وأصحابه المنتجبين، ثم رسمت له مدرسته طريقاً إجمالياً لهداية الله لوجدتموه في مرحلة شبابه يسير بقوة الشباب في طريق الراشدين، ويومئذٍ لا تكون له مشاكل، ولا تكون حياتكم من أجله لحظات مختلفة، ولا تكون نفوسكم بسببه موزعة بين أحاسيس متناقضة.

﴿كل مولودٍ يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه﴾

وقوله تعالى في سورة التحريم، آية(٦):-

﴿يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا قُـوا أَنفُسَـكُم وَأَهْلِـيكُمْ نَارَاً﴾

التدين وأثره في المجتمع

أساس الإسلام نقاء القلوب وصفاؤها:-

ابتدأت رسالة الإسلام في المجتمع الإنساني بربط الإنسان بأخيه الإنسان، وإيجاد علاقة من التماسك بينهما، تقوى وتزيد حسب قوة الإيمان في نفس المؤمن.

وأول صورة لهذا الربط والتماسك تنقية النفوس من الغلّ والحقد والغش والخداع، يقول الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) لأنس، فيما يروى عنه:-

﴿يا بني، إن قدرت أن تصبح وتمسي، وليس في قلبك غش لأحد،فافعل﴾

قال أنس، ثم قال:-

﴿يا بني، وذلك سنّتي، ومن أحيا سنّتي، فقد أحبّني، ومَن أحبّني، كان معي في الجنة﴾

فالرسول حريص كل الحرص على أن تصبح النفوس وتمسي وليس في نفس منها شيء من الغش لإنسان آخر، لأنه إذا ضعف معنى الحقد والغش والخداع في النفوس ضعفت أسباب الخصومة بينها وبرز مكانها مجال المودة...

والمـودة مظهـر أوّلـي لإدراك معنـى الإخـاء الإنسـاني والإشتراك في هدف واحد ورسالة واحدة...

وعن إدراك معنـى الإخـاء والإشـتراك فـي الهـدف الواحـد، يبتدئ المجتمـع ويظهر وجوده ولكن لا يتأكد وجود المجتمع ويقـوى إلاّ إذا انتقلـت النفـوس البشـرية فيـه خطـوة أخـرى، تجاوبت بها محاولة إضعاف الحقد والغش والخداع...

هذه الخطـوة الأخـرى خطـوة إيجابيـة فـي بنـاء المجتمـع وتكتيلـه هـي –بعد أن يـدرك الإنسـان علاقـة الإنسـان بأخيـه وبين إنسان آخر– أن يحب له ما يحب لنفسه...

يـروى عن ابن عبـاس رضي الله عنه عن النبـي(صلى الله عليه وآلـه وسلم)، أنه يقول:–

﴿لا يؤمن أحدكم حتـى يحـب لأخيـه مـا يحـب لنفسه﴾

أي لا يبلـغ أحـدكم مبلـغ الإيمـان الكامـل إلاّ إذا عمـرت نفسـه بصـحبة أخيـه الإنسـان، فـإذا وصـلت علاقـة الإنسـان بالإنسـان فـي المجتمـع البشـري إلـى هـذا الحـدّ مـن المحبـة، تلاقـت النفـوس فيـه، فأصـبح كـل واحـد للآخـر كالبنيـان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً...

فإذا انتقلت العلاقة بعد ذلك إلى المعاونة ثم إلى الإحسان والبرّ عندئذٍ تبلغ الجماعة أشدّها في القوة وتصل إلى آخر مظهرها في التماسك...

يروى عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه يقول:-

﴿مَن نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومَن ستر مسلماً ، ستره الله في الدنيا والآخرة. ومَن يسّر على مُعسر، يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه﴾

والدين عن طريق الإيمان بالله هو الذي يوصل المجتمع إلى هذه الدرجة من القوة والتماسك ولا تبلغ مبلغه في ذلك الخدمات الإجتماعية أو إيقاظ الوعي الجماعي عن طريق المدرسة والثقافة الإنسانية المشتركة.

وجانب آخر من جوانب أثر التدين في المجتمع هو أنَّ صفاء النفوس ومحبة بعضها لبعض، ومعاونة بعضها يدفعها إلى الرضاء بحظ كل إنسان في الحياة وعدم سخط طبقة على

أخرى يقول الله(تعالى) في سورة الأنعام، آية (١٦٥):-

﴿وهُوَ الَّذِي جَعَلَكُم خَلائفَ فـي الأرْضِ وَرَفَـعَ بَعْضَكُم فَـوْقَ بَعْـضٍ دَرَجَـاتٍ لِّيَبْلُـوَكُم فـي مـا آتاكم ﴾

ويقول جلَّ شأنه في سورة النساء، آية (٣١):-

﴿وَلا تَتَمَنَّـوْا مَـا فَضَّـلَ اللهُ بِـهِ بَعْضَـكُم عَلَـى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِـيبٌ مِمَّـا اكتَسَـبُوا وَلِلنِّسَـاءِ نَصِيبٌ مِمّا اكتَسَبْنَ وَسْـئلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾

ومجتمـع يقـوم أساسـه علـى المحبـة بـين أفـراده، وعلـى عدم القلق والإضطراب في العلاقات بينهم، مجتمع صان نفسه من التدهور والإنحلال، وقد كان ذلك شأن الجماعة الإسلامية الأولـى، ولـذلك امـتنّ الله علـى المسـلمين بقولـه مـن سـورة الأنفال، آية (٦٣):-

﴿وَأَلّفَ بَينَ قُلُوبِهِم لَو أَنفَقتَ مَـا فِـي الأَرضِ جَمِيعَـاً مَـا أَلَّفتَ بَـينَ قُلُـوبِهِم وَلَكِـنَّ اللهَ أَلَّـفَ بَينَـهُم إِنَّـهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

الضمير الديني
وأثره في الإتحاد والشعور
بالجماعة

يروي الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري، أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، قال:-

﴿المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى عينه، اشتكى كله.. وإن اشتكى رأسه، اشتكى كله﴾

الرسول(عليه الصلاة والسلام) يصوّر الجماعة المؤمنة وما يجب أن يكون وضعها:-

١-يجب أن يشعر أفرادها بعضهم ببعض.

٢-وأن يعمل بعضهم لبعض لأجل مصلحتهم جميعاً.

٣-حتى إذا تمخّض عمل الأفراد للصالح العام، وهو صالح الجماعة كان المؤمن عندئذٍ كرجل واحد يتجاوب أعضاء جسمه مع بعض، إن لحق ألم بعضو منها.

المرحلة الأولى

فشعور الأفراد بعضهم ببعض الأساس الأول في قيام المجتمع أو الجماعة، وهو أول ظاهرة عملية لإسلام المسلم، وإيمانه برسالة الإسلام. إذ رسالة الإسلام في حياة الفرد تبتدئ بنقله من سيطرة الشعور الفردي عليه وطغيان الأنانية على تصرفاته إلى إنسان جماعي يشعر بوجود الآخرين معه، ويبادلهم الإحساس بواجبه نحوهم، وبحقوقه من قبلهم، فمن بقي في دائرة عمله الفردي لمصلحته وحدها لم يتذوق بعد حلاوة الإعتقاد بالإسلام وإن انتسب إلى جماعة المسلمين، وأعلن القيام بفروض الإسلام وواجباته:-

أ-فمَن كاد للغير أو وشى به أو تآمر عليه بدافع الحقد أو المنافسة الرخيصة أو لتحقيق مصلحة شخصية، بعيد عن الإحساس بالإسلام وتذوقه.

عن أبي يرزة الأسلميﷺ، في رواية أبي داود والترمذي أن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) صعد المنبر فنادى بصوت رفيع:-

﴿يا معشر من أسلم بلسانه ولم يغض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيّروهم ولا تتبعوا عوراتهم. فإنّه من تتبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته، يفضحه ولو في جوف رحله﴾

ويقول الله(جلّ شأنه) في سورة الأحزاب، آية(٥٨):-

﴿وَالَّذِينَ يُؤذُونَ المُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ بِغَيرِ مَا اكتَسبُوا فَقَدِ احتَمَلُوا بُهتَاناً وَإِثمَاً مُبِيناً﴾

ويقول اللهﷻ لرسوله الكريم في سورة القلم، آية (١٠-١٤):-

﴿وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلخَيرِ مُعتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾

ب-ومن خدَع الغير بإسم الدين وبإسم الإنسانية أو العلم والتوجيه لبلوغ هدف شخصي -بعيد أيضاً عن الإحساس بالإسلام، وارتباطه به ارتباط المعتقد به- فمثلاً مَن صلى أو زكى أو حجّ، ليستتر وراء صلاته أو زكاته ومن باشر مداواة الغير بإسم الإنسانية، ليحترف بمداواته إيّاه، ومن شارك في رعاية الفقير والضعيف، ليتجر بهذه المشاركة في الرعاية،

ومَن نصب نفسه لتوجيه الغير في دينه أو دنياه، كي يصيب بذلك مغنماً مادياً أو جاهاً ومنزلةً، كل هؤلاء بعيدون عن الشعور بحقيقة الإسلام في نفوسهم، وهم فيما أعتقد أنانيون يعملون لأنفسهم فقط، ولكنهم توسلوا بوسائل من شأنها أن تحمل الناس على قبول المعاملة معهم والثقة بهم. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قال:-

﴿إنَّ أول الناس يقضى يوم القيامة عليه:-

١-رجل استشهد، فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها.

قال:-فما عملت فيها؟.

قال:-قاتلت فيك حتى استشهدت.

قال:-كذبتَ، ولكنك قاتلت لأن يقال جرئ، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

٢-ورجل تعلم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن، فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها.

قال:-فما عملت فيها؟

قال:-تعلمتُ العلم وعلّمتُه، وقرأت فيك القرآن.

قال:-كذبتَ، ولكنك تعلّمتَ العلم ليقال عالم،

وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

٣-ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله به، فعرفه نعمه فعرفها.

قال:-ما عملت فيها؟

قال:-ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلاّ أنفقتُ فيها لك.

قال:-كذبتَ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار﴾

ج–ومَن ابتعد عن أولاده الصغار أو الكبار، وحرم صغاره من رعايته وكبارهم من عطفه الأبوي، ليحقق لنفسه متعة شخصية بإمرأة أخرى لم يخالط الإسلام روحه، ولم ينفذ إلى دخيلة نفسه، فهو أشبه بذلك الذي رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يخبط فيه بغير علم، لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رَحِمه، ولا يعلم لله فيه حقاً، ومنزلته أخبث المنازل عند الله، كما جاء في رواية الترمذي عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، فأول ظاهرة لإسلام المسلم إذن، أن يشعر المعتقد به بالجماعة، وشعوره بالجماعة يقوم أولاً وقبل كل شيء على

أن يخفف من سيطرة مصلحته الشخصية على أفعاله وتصرفاته، ويجعل فعله وتصرفه شركة بينه وبين جماعته. لا يغبن مصلحته الشخصية، ولا يهضم حقّ جماعته وجماعة مَن عداه من أقاربه وجيرانه ومواطنيه..

أول ظاهرة لإسلام المسلم أن يتمنى لغيره ما يتمناه لنفسه من خير، أو دفع أذى. فهذا التمني منه وإن كان أمراً نفسياً لكنه يحول في واقع الأمر دون أن يتسبب هو نفسه في إيذائهم بلسانه أو عمله، أو عدم إيذاء الغير باللسان أو الفعل خطوة تساعده في حياته على أن يكون سعيه موجهاً لخير نفسه وأهله، بدلاً من أن يوجهه لمكافحة الإيذاء الذي يناله. سواءاً كان إيذاء القول أو إيذاء العمل.

المرحلة الثانية

لم يقف الإسلام في تكوين الجماعة وبنائها عند حدّ أن يتخلى أفرادها عن الإيذاء، أو عند حد أن يتمنى بعضهم لبعض الخير أو زوال الشر، بل دفع المسلم خطوة أخرى في تقوية شعوره بالجماعة، هي خطوة العمل الإيجابي لصالح الأفراد الآخرين، وهو صالح الجماعة نفسها. يقول اللهﷻ في سورة المائدة، آية(٢):-

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَ التَقوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلى الإِثمِ وَالعُدوَانِ﴾

و في سورة الإسراء، آية(٥٣):-

﴿وَقُل لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحسَنُ﴾

وفي قوله تعالى من سورة البقرة، آية(٨٣):-

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسنَاً﴾

فوجّه المسلمين أن يكون نطقهم بالتي هي أحسن وأن يكون عملهم تعاوناً على البر والخير واتقاءاً لما يضر ويؤذي.

ويقول الله(سبحانه وجلّ شأنه) أيضاً في سورة النساء، آية (٣٦):-

﴿وَاعبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً وَبِالوَالدَينِ

إحْسَانَاً وَبِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَالجَارِ ذِي القُرْبَى وَالجَارِ الجُنُبِ وَالصَاحِبِ بِالجنْبِ وَابْنِ السَبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أيمَانَكُم﴾

فقرنَ جلَّ شأنه الإحسان إلى هؤلاء جميعاً –وهم أفراد جماعته في واقع الأمر– بعبادته وحده، وجعل البر إليهم وهو عمل الخير، صورة من صوره في منْزلة الإخلاص في عبادته وعدم إشراك غيره في العبودية...

ويروى عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أنه يقول:–

﴿إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً، فهو يتّقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم الله فيه حقاً﴾

فهذا بأفضل المنازل إذا عمل الإنسان المسلم لغيره إذن، وخرج بإيجابيته من دائرة التمني إلى دائرة العمل لصالح جماعته، كان ذلك منه آية واضحة على طاعته لتعاليم الإسلام بجانب شعوره به كعقيدة...

المرحلة الثالثة

فإن آثر الغير على نفسه، وفضّل الصالح العام لجماعته على صالح نفسه الخاص وبذل من عمله وماله وجاهه وعلمه في سبيل وطنه وأمته أكثر مما يبذل لرفاهيته ومتعته الخاصة -ارتفع شعوره بالجماعة إلى مستوى يصير المؤمنون فيه كرجل واحد إن اشتكى عينه، اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه، اشتكى كله.. عندئذٍ يصبح حبه لله وبغضه لله وإعطاؤه لله ومنعه لله- عندئذٍ يصبح عمله خالصاً لا يبتغي به سوى وجه الله...

عن أبي أمامةﷺ أنَّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قال:-

﴿من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان﴾

وعنه أيضا، عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، قال:-

﴿إنَّ الله لا يقبل من العمل إلاّ ما كان له خالصاً وابتغى به وجه الله﴾

وهذه الدرجة من الشعور بالجماعة لا تكون إذن إلاّ لمن تيقظ في قلبه الوعي بالله، وتمكن من نفسه الإيمان به،

فأصبح لا يرى نفسه هدفاً في الحياة، بل الهدف هو خير الناس، هو خير جماعته، ومن تيقظ في قلبه الوعي بالله إلى هذه المنْزلة هو ذلك الذي تكوّن عنده الضمير الديني يدفعه إلى اتجاه واحد: هو الله، ومن اتجه إلى الله وحده عمل حتماً لجماعته، ومن عمل لجماعته: كان الإنسان المهذب الرشيد...

الضمير الديني وأثره في تكوين الأسرة كجماعة

يـروي أبـي ذر الغفـاري(رضي الله عنه) أنَّ النبـي(صلى الله عليـه وآلـه وسلم)، قال:-

﴿تُـنكح (أي تتـزوج) المـرأة لأربـع: لمالهـا، ولحسبها، ولجمالهـا، ولـدينها، فـاظفر بـذات الدين تربت يداك﴾

أي الدافع إلى الصلة الزوجية بين الرجال واحد من هذه العوامل الأربعة، أما المال، أو الحسب، أو الجاه، أو الجمال، أو التدين، ولكن الذي يجب أن يحرص عليـه الرجل هو عامل التـدين فـي اختيـار زوجتـه وإلاّ عاقبـة الـزواج تـؤول إلـى اضمحلال وفناء بدل أن يكون انسجاماً ما بين الطرفين وحياة منتجة...

ويـروي سلمان المحمدي(رضي الله عنه) أنّ النبـي(صلى الله عليـه وآلـه وسلم)، قال:-

﴿إذا جاءكم مَن ترضون دينه وخلقه فأنكحوه -أي زوّجوه- إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾

فَنَصَح أولياء أمر المرأة وأصحاب الشأن معها أن يفضلوا المتدين صاحب الخلق الحسن من الرجال عند اختيار الزوج لعزيزتهم، أن يفضلوه على مَن تكون له صفة أخرى من شأنها أن ترغّب الناس فيه، كالمال والجاه ونحو ذلك من الصفات العارضة والمؤقتة.

سبيل تكوين الأسرة
(الشعور المشترك)

الأسرة في نظر الإسلام هي أول صورة الجماعة، والزواج طريق تكوينها. ولا تكون الأسرة إلاّ حيث يشعر الطرفان بالحياة المشتركة بينهما، ويدرك كل منهما أنّ هذه الحياة تجارب بينهما، تدور في إطار واحد ويساند أحد الطرفين الآخر في استمرار حركة الحياة المشتركة وزيادة نشاطها، وتوجيهها نحو غاية واحدة فإذا لم يبدأ الشعور بالحياة المشتركة بين الإثنين، فالأسرة لم تتكون بعد، وإن تشاركا في المعيشة، واختلطا في الجوار، لأن مثل هذه الأسرة لا تمثل معنى الجماعة..

إذ هُنا، عندما ينتفي معنى الجماعة في الأسرة لا يكون أحد بين الطرفين سكناً للآخر يطمئن إليه، ولا تكون بينهما مودة نفسية ولا رحمة متبادلة، على نحو ما جاء في قوله تعالى في سورة الروم، آية(٢١):-

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجَاً

لِتَسْكُنُوا إِلَيها وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

وهذه الزيجات التي لا يتكون منها الشعور بالحياة المشتركة بين الطرفين، هي تلك الزيجات التي اجتمع فيها الطرفين لغاية أخرى وراء الزواج لذاته. كأن تكون غاية الزواج الاستمتاع بجاه الزوجة أو مالها أو جمالها دون صلاحيتها للحياة المشتركة كزوجة، وأُم، وكمعاونة، أو تكون غاية الزوجة الإفادة من مال الزوج، أو شبابه أو جاهه، دون صلاحيته لهذه الحياة المشتركة كزوج له كرامته، ورجولته، وإنسانيته، وخُلُقه، وسعيه الجدِّي في الحياة كمسؤول متمرس على الكفاح من أجل بقائه هو، ومن أجل بقاء من يحمل مسؤولية وجوده معه...

فكل طرف من الطرفين في مثل هذه الزيجات، ينشد شيئاً آخر وراء الزوجية، فإذا فقد هذا الشيء الآخر المنشود أو ضعف أثره في الإغراء بتوحدهما ومصاحبة بعضهما بعضاً -في الظاهر- بدأ تفكك الزيجة يتضح وبرز للعيان ما بين الطرفين من فجوة، وعدم انسجام، واتجه كل واحد منهما إلى الخلاص النهائي من الآخر بوسيلة أو بأخرى كريمة أو غير

كريمة، وكثيراً ما تكون غير كريمة، وتحوّل الوقت منذ أن نفدت الغاية من تواجدهما أو منذ أن ضعف العامل على هذا التواجد حتى فرقتهما النهائية -تحوّل هذا الوقت إلى قلق نفسي وإضطراب في حياة كل منهما-.

والرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، ينصح بتركيز عنصر الاختيار عند الزواج سواء في جانب الرجل أو المرأة في التدين والخُلُق الكريم دون شيء آخر بعد ذلك، من مال وجاه وجمال وشباب، يبقى فقط النصح باتباع الوسيلة الصحيحة في تكوين أُسرة وجماعة من الزواج تكويناً سليماً، حتى لا يستحيل هذا الزواج بعد قليل من الزمن إلى اختلاط، هو تفكك أقرب منه إلى الإنسجام...

التدين عامل إيجابي في إيجاد الشعور المشترك

الإسلام هنا كدِين لا يتحيز للمتدينة أو المتدين، وصاحب الخلق إذا نصح بتفضيله أو تفضيلهما في الاختيار في الزواج، إنما يكشف بهذه النصيحة للإنسان كموجه له عن أمر لابد من الكشف عنه في النصيحة وهو أن التدين عامل إيجابي في الأُلفة والانسجام والتآزر والتساند، فهو ليس رسماً يؤدى أو شكلاً يُسعى إليه، بل هو إيمان، إيمانٌ بمُثل وقيم في الحياة، وليس من بينها المال والجاه وعرض الدنيا، بل في مقدمتها الإنسانية في المعاملة والتهذيب في السلوك وتقدير الإنسان لذات الإنسان، وابتغاء الإخاء في الله.. والحياة المشتركة بين الإثنين اللذين تزاوجا، لا تنمو إلاّ في ظل مثل هذه القيم، ولا تحطّمها إلاّ الغايات الأخرى التي أشرنا إلى أمثلة منها، وتضمّنها الحديث النبوي الشريف.

نعم، قد يؤول التدين إلى حرفةٍ أو مظهرٍ ورسمٍ، ومن

أجل ذلك ربما لا نفهم فضيلةٌ في جانب المرأة، أو جانب الرجل عند الزواج. ولكنّ التدين في واقع أمره ليس هذا: هو التهذيب الإنساني في أوضح معاني التهذيب وأكمل مظاهره، الصادر عن ضمير وإعداد نفسي لله وللمثل العليا، ثم لا يفرق في واقع الأمر بين إنسانٍ وآخر ذكر أو أنثى -إلاّ بأنّ أحدهما أصبح مهذباً في سلوكه، والآخر بقي في بدائيته أو حيوانيته الأولى- إذ المعنى الإنساني في الإنسان طارئ على الطبيعة الحيوانية فيه، المشتركة بينه وبين غيره من نوع الحيوان الآخر.

فأي إنسان صار إلى الإنسانية فهو ذلك الذي يجب أن يُفضل ويُختار في المعاشرة والمعاملة. لأنَه الإنسان الذي تميز عن الحيوان، فهو يتجه في الحياة اتجاه الإنسان المكرّم في سبيله وحده، أو في سبيله مع غيره..

الزواج
في الإسلام ليس صفقة

لم ينظر الإسلام إلى الزواج كأساس لتكوين الأسرة على أنه صفقة بين طرفين، يجب أن يتعادل فيها الربح والخسارة، والكسب المادي بينهما، وإنما ينظر إليه على أنه ترجمة عملية لرغبة نفسية صادقة تكونت بعد امتحان دقيق لتقدير كل منهما للآخر على أنه إنسان مهذب.

والمهر الذي قرره الإسلام ليس ثمناً لسلعة، بل اعتباره ووزنه إنما في تيسير وضع الزواج فقط، وليست له قيمة ذاتية إلاّ أنه يدل على رغبة الرجل في الزواج، وعلى تأكيد أنه الطرف الطالب في الزيجة المتوقعة، ولذلك يكفي في مسمى المهر بعض الدراهم، أو تقديم بعض الخدمات الثقافية والتعليمية، مثلاً للزوجة وقد كان ذلك الشأن في الحياة الإسلامية الأولى...

إنَّه نحلة ومنحة من الرجل قصدَ بها تأكيد حياء المرأة،

وجعلها مطلوبة بدلاً من أن يكشف عنها ستار طبيعتها، فتبدو طالبة... إنَّ الإسلام بتقريره المهر الذي على هذا النحو يدل على أنه نفسه دين المروءة والخُلُق المهذب...

إنَّ المرأة يجب أن يتوفر لها الحياء والخفر حتى تبقى سيدة ذات عزة نفس، وتبقى معها عواطفها لا تمتهن ولا تستذل، وذلك لا يكون إلاّ إذا وصى غيرها وهو الرجل على أنه يكون طالباً لها وساعياً في سبيلها...

إنَّ المهر رمز لهذا السعي وليس ثمناً، إنَّه حجاب وستر على حياء المرأة، إنَّ الأنثوية في الحياة الطبيعية بين الذكر والأنثى تدل على تفاعل بين الأثنين، وتدل على أنَّ الطرف القابل منهما صاحب الخطوة الأولى في اللقاء، فالزهرة في النبات تتفتح لاستقبال عنصر الحياة من حامله، والحيوان الأنثى يُعين بلغته الصوتية على اللقاء بالآخر...

وهذا وضع ينبو عنه ذوق الإنسان المهذب لو طلب تطبيقه بين الذكر والأنثى في الحياة الإنسانية، فتجلَّ المرأة عن أن تكون طالبة الزواج بالرجل وليس هو الحريص على ذلك. إنَّ الضمير الديني عامل له كفالته في إشعار الزوجين

بالحياة المشتركة بينهما، وعامل له كفايته أيضاً في إبعاد الزواج عن الإنحراف عن غايته، كأساس لأسرة وجماعة، وعامل له كفالته أيضاً في حياة الإطمئنان والسكينة والإنسجام. وهنا نفهم قول الرسول الكريم:-

﴿فاظفر بذات الدين تربت يداك﴾

وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم):-

﴿إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه (أي زوجوه) إلاّ تفعلوا، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾

إنَّ الإضطراب الذي يحصل في الحياة الزوجية يرجع إلى الإنحراف عن نظرة الإسلام إلى الزواج، يرجع إلى الرغبة في الدنيا ومتعتها وحدها، والدنيا في طبيعتها قلقة مضطربة لأنه لا يؤمن جانبها، وكذلك شأن من يوليها السعي ويجد في الحرص عليها...

۞ والحمد للهِ ربِّ العالمين ۞

الفهرس

أثر الخشية من الله ٣

التربية السليمة أساسها الخشية من الله ٤

قوة الإيمان ٧

آثار الضمير الديني نوعان من الناس ١١

الضمير الديني وأثره في أداء الواجب ١٧

الحياة واجبات وحقوق متبادلة ١٩

الواجب دائرته الصالح العام ٢٠

الواجب والضمير الديني ٢٢

الواجب والحياة الواقعية ٢٣

مستوى الأمة مرتبط بأداء الواجب ٢٥

الضمير الديني وأثره في إتقان العمل..... ٢٦

الضمير الديني وأثره في توجيه الشباب ٣٠

التدين وأثره في المجتمع ٣٥

الضمير الديني وأثره في الإتحاد والشعور بالجماعة ٣٨

المرحلة الأولى ٣٩

المرحلة الثانية ٤٣

المرحلة الثالثة ٤٥
الضمير الديني وأثره في تكوين الأسرة كجماعة ٤٦
سبيل تكوين الأسرة الشعور المشترك ٤٧
التدين عامل إيجابي في إيجاد الشعور المشترك ٤٩
الزواج في الإسلام ليس صفقة ٥١